بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

أتحدث بمناسبة مولد رسول الله (ص)[1]، تعلمون أن مولده (ص) كان في اليوم السابع عشر من شهر ربيع الأول، وبعض العلماء كالشيخ الكليني (رض) يرون أنه كان في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول كما هو عند العامة، أحاول أن أذكر لك بعض ما يفترض أنك تعرفه لعل الله يجعل في هذا التذكير خيرا

تعلمون أنه دائما توجد محاولات لتشويه صورة النبي (ص)، الآن في بلاد مختلفة يحاولون الإساءة إليه (ص) وهذا سبّب كثيرا من القلق عند المسلمين في العالم الإسلامي بشكل عام واتُّخذت مواقف في هذا الصدد، لكن هذا التشويه ليس جديدا فحتى في عهد النبي (ص) كان هنالك بعض الأشخاص يحاولون أن يشوهوا صورته (ص)، مثلا يُذكر أن الحكم بن العاص كان يحاول أن يمشي بطريقة معينة يصورها بأنها تشبه مشية النبي (ص) حتى يجعل الناس يضحكون، والنبي (ص) أخرجه من المدينة، وكذلك بعض المنافقين اتهموا وافتروا على مارية القبطية كما في سورة النور حيث بَرّأها الله عز وجل من هذه الهجمة الشرسة التي كان قد خطط لها المنافقون في عهد النبي (ص)، فالمسألة ليست جديدة لكن الآن توجد وسائل إعلام متطورة وهنالك مسببات بطبيعة الحال هي التي أوجبت أن تكون هذه الأحداث أكثر إيلاما

أنت حينما تسمع أو تقرأ أن هنالك إساءة لرسول الله (ص) لابد أن هذا يؤذيك ويؤلمك وتتمنى أن يُتخذ من هؤلاء موقف لأن يسكتوا بأي وسيلة ممكنة، أنا لا أريد أن أتحدث عن هذا، أريد أن أبيّن مسألة ولكن ليس لأن يتكلف أحد منكم ويفرض على نفسه بأنه يجب أن يفكر بهذه الطريقة، بعض الأحيان أتلقى رسائل من بعض الأشخاص يكتبون فيها أنهم كانوا يفكرون بطريقة معينة والآن بعد

---

[1] تحدث السيد محمد علي الباقري (قدس سره) بهذا الحديث في يوم الجمعة الموافق ١٣ ربيع الأول ١٤٢٩، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

الحديث تغيّر تفكيرهم، سبحان الله! هل التفكير بهذه الصورة مثل الثوب يتغير؟! المعرفة لابد أن تنتج من حركة طبيعية متدرجة ولا تحصل بشكل فوري[٢]، إجمالا أريد أن أبين شيئا وأتمنى أن يلفت نظرك فتسعى أن تكون كذلك

إن أكثر المسلمين الآن ارتباطهم بالنبي (ص) ارتباط تعصب وليس ارتباط تعقّل واعتقاد وإيمان ناتج عن الحاجة لمعرفة النبي (ص)، فهم لا يعرفون النبي (ص) ولا يسعون لذلك، لأن المعرفة تنتج من الحاجة الطبيعية للإنسان، فإذا شخص يشعر بالحاجة إلى معرفة النبي ويرغب في أن يؤمن بالنبي يسعى لمعرفته، يبحث ويتعقّل ويفرّغ نفسه ووقته لمعرفة النبي (ص) ومعرفة دعوته (ص)، فإذا لا توجد حاجة ولا يوجد اهتمام فبطبيعة الحال لن تحصل هذه المعرفة، أكثر الأشخاص يكتفون بما تعلموه من البيئة التي وُلدوا فيها، والتي يُذكر فيها النبي (ص) فالتزاماتهم بالدين بالتدريج تصبح تعوّدا كما في رواية (لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده فإن ذلك شيء اعتاده فلو تركه استوحش لذلك...)[٣]، الناس بشكل عام ظاهرا متدينون ملتزمون يصلون يحضرون المساجد متقيّدون ربما يقومون ببعض المستحبات لكن من دون أي إحساس بالحاجة إلى معرفة النبي (ص) فلا يعرفونه وإنما الرابطة مع النبي (ص) تحصل نتيجة التعصب[٤]

لكن هنالك أناسا سعوا إلى معرفة النبي (ص) – وهم قلة – فهم يتألمون من هذه الإساءات ومن هذا الوضع لكن في نفس الوقت هذه الأحداث تثير في نفوسهم الاستبشار، هؤلاء يحبون النبي (ص) أكثر من حب غيرهم له، هم يتألمون أكثر وفي نفس الوقت هم يستبشرون بما يحصل، كيف؟

الله عز وجل خلق النفوس وشرع لها شريعة وبعث لها أنبياء ليهديها، فطر كل النفوس لتتفاعل مع نبوة النبي (ص) ودعوته، فإذا عرفتها النفوس تؤمن بها[٥]، أذكر قديما في إحدى السفرات التقيت

---

[٢] أشار السيد (قدس سره) إلى (مسألة كيفية تكوُّن العقيدة في النفس) في كتاب لمحات من منطلقات الاعتقاد الصالح وأبعاده وكيفية نموّه...

[٣] الكافي (١٠٥/٢)

[٤] في كتاب (**هكذا بحثت ٢**) محاولات أشار السيد (قدس سره) في الهامش رقم (١) إلى أسباب التعصب الديني

[٥] أشار السيد (قدس سره) لهذه المسألة في كتاب (**هكذا آمنت ٢**) فصل (**واقع الإعجاز وحقيقته**)

بشخص من النصارى فحينما كنت أتكلم معه وجدته يتفاعل مع ما أنقله عن النبي (ص)، النفوس هكذا مخلوقة بحيث تتفاعل إذا ذُكر النبي أو شيء من حياته ودعوته (ص) بصورتها الصحيحة

المسلمون بشكل عام –حتى المتدينون– لا يعرفون النبي (ص)، طريقة حياتهم لا تختلف عن طريقة حياة غيرهم باستثناء بعض الطقوس، فبصورة طبيعية غير المسلمين يرون وضعنا وطريقة حياتنا وتعاملنا ويحمّلونها على نبينا (ص)، لأنهم يروننا نتاج النبي (ص)، صلاتنا ماذا يجدون فيها؟ إذا كانت طريقتنا وأمنياتنا لا تختلف عن غيرنا فغير المسلمين كيف يعرفون النبي (ص)؟ فمثلا هم يجدون في (ماري تريزا) ما يلفت أنظارهم ويؤثر فيهم ولا يجدون في المسلمين شيئا يجذبهم، فطريقة حياتنا وتعاملنا تُحسب على النبي وأن النبي هو خاص لنا، فالمسلمين الآن مثل الشخص الذي يتأذى إذا أحدٌ ينتقد ويطعن أحدا من عائلته، كذلك مع النبي لا نرضى أن يُطعن فيه لأنه لنا نحن فقط، بينما النبي (ص) أرسله الله للناس كافة، والمسلمون حُمّلوا مسؤولية أن يكونوا شهداء على الناس، فهم واسطة وقناة لأن يبينوا للناس بأن الدين الذي بعث به النبي (ص) هو هذا[٦]، ومع الأسف هذا ليس موجودا الآن لأن معرفة دعوة النبي (ص) وطريقته لم تعد حاجة عند المسلمين

لكن هناك فئة قائمين بالأمر وهم المكبّرون لله عز وجل الذين بحثوا وعرفوا النبي (ص) فاقتربوا منه ويزدادون معرفة به، هؤلاء الذين يعانون من هذا الوضع وينتظرون الفرج، هؤلاء حينما يجدون هذا التهجم وتلك الإساءات يتألمون لكن في نفس الوقت يستبشرون لعلّ هذا يلفت أنظار المسلمين بدل أن يصرخون ويتكلمون يفترض أن يراجعوا أنفسهم ويتساءلون: لمَ هؤلاء ينتقدون ويطعنون في النبي؟ هل كل هؤلاء يعادون النبي كنبي أم أنهم لم يجدوا في الدين المطروح ما تعرفه نفوسهم، ولعل هذا يدفع أناسا مهتمين أمثالكم يقرأون ويفكرون فيبدأ الشخص يفكر كيف أنا أستطيع بدل أن أشتمهم –لا أتكلم عن الأشخاص الذين يسيئون بل تلك البيئات التي حصلت فيها الإساءة إلى النبي (ص)– يحاول أن يبيّن لهم بأن النبي الذي أنتم ترونه كذلك وتطرحونه كذلك هو في الواقع ليس كذلك، فيبحثون عن الدين من خلال عهد النبي (ص) فبالتدريج هو يبدأ يعرف النبي (ص)

---

[٦] أشار السيد (قدس سره) لهذه المسألة في كتاب (**هكذا آمنت ٢**) فصل (**خلاصة**)

أريد أن أذكر مسألة مرتبطة بحياة رسول الله (ص) قبل النبوة أشارت لها سورة الضحى: (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ . وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ . فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ)

الله عز وجل ربّي النبي (ص)، فهو جرّب اليتم وجرّب الفقر، في ذلك الحين اليتم كان يُحقّر الشخص ويسلبه مقومات شخصيته الإنسانية، اليتيم –حينما يكبر– لا يتعامل معه المجتمع أنه إنسان له كرامته والآن كذلك، لذلك كان النبي (ص) يُطعن فيه أنه كان يتيما حتى بعد بعثته الشريفة، وكذلك المال يفتتن الناس يعني ينفخهم –وكذلك الجاه بطبيعة الحال– المال يستوجب الجاه ويعطيهم شعورا بالكبرياء وأن لهم حق الطاعة فيجب أن يُكرم صاحب المال، لأنه يملك مالا وجاها فيجب أن تكرمه وتعامله معاملة خاصة، فإذا قلت له أنا لا أحتاج إلى جاهك لِمَ أكرمك أكثر من غيرك؟ فهو لا يقبل، هذا هو الانتفاخ، أنا لا أحتاج إلى مالك لماذا أكرمك؟! بل بالعكس لا أكرمك لأنك أنت ترى كرامتك في جاهك في مقامك في مالك وبهذا أنت تسقط من نظري لأنك بعت شخصيتك بهذه الأشياء، أنت تبحث عن كرامتك في منصبك وموقعك لا تبحث عن كرامتك في داخل نفسك وفي شخصيتك

الآن تلك التجربة مرّ فيها النبي (ص)، الآن يؤمر (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) يعني انتبه هذه مسؤوليتك أن لا تستضعف أحدا بل أن تسعى لأن تقوي الضعيف وتصبر نفسك معه حتى يكبُر لئلا يستضعفه أحد ولأن تكون له كرامة (كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ . وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ . وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا . وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا)[٧]

إذن مؤدى هذه الآيات أنك جرّبت اليتم والله عز وجل ربّاك كذلك، الآن أكرم اليتيم لا تقهره ولا تغلبه، هذه مسؤوليتك، لأن نفس اليتيم تستحق أن تعبد الله عز وجل كأية نفس أخرى، إذا هذه النفس لا تكبّر الله فهذا معناه أن أناسا ساهموا في استضعافها وكذلك انتبه أن السائل صاحب الحاجة إذا كان محتاجا لا تنهره، فمسؤوليتك أن لا تجعله يذل داخل نفسه ليستطيع أن يكبّر الله

---

[٧] (الفجر: ١٧–٢٠)

هذا مدخل، إذا أحببت أن تكون من هؤلاء الذين قاموا في قرارة نفوسهم وكبُروا على شهواتهم والآن ينظرون إلى العالم وإلى الأمور بنظرة مختلفة عن نظرة الناس فهم الذين يستبشرون بهذه الأشياء لعل هذا يغيّر من حال المسلمين، فإذا أردت أن تكون معهم اقترب من النبي (ص) اطرق بابه لتعرفه، هذه الآية التي أشرت إليها هي مدخل من المداخل، من أي مكان بدأت فرحمة الله تشملك بالتدريج، وإذا بك تزداد معرفة وقربا من النبي (ص) وتزداد إحساسا بالعز (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ)[٨]

أرجو أن يجعل الله في هذا الحديث الذي رجوت به لفت نظرك إلى النبي (ص)، فهو الآن غريب ولابد من معرفة دعوته وطريقته (ص) حتى لا يبقى غريبا، لتكون من أنصاره الذين جنّدوا كل إمكانياتهم –أولها نفوسهم– للكون معه ولنصرته وللتقرب منه، فأرجو أن يجعل الله في هذا الحديث لفتا لجميع الأنظار، أنا أشعر بمسؤولية تجاه وقتكم العزيز وأدعو أن يجعل الله في هذا الوقت الذي أخذته منكم بركة ونفعا لكم ولي، والحمد لله رب العالمين

---

[٨] (المنافقون: ٨)